

ما اخترع في الزمان المتأخر ، أو استعير من لغة أخرى ، وبتساءل عن موقف كل طبقة وطبقة في التاريخ ، وخصوصا تاريخ الحضارة والمدن ، والتطور الفكري والأدبي ، فنستنتج الأسباب الداعية إلى اختراع الكلمات الجديدة ، أو استعارة الدخيلة .

وبعد هذا التتبع التاريخي ، نبحث عن موقف اللغة ومفرداتها ، من الوجهة الاجتماعية ، فنتساءل ماهو العام منها ؟ وما هو خاص بصنف من أصناف الشعب ، ومصطلح به بينهم ؟ ومن ذلك : التفريق بين النثرى والشعري ، والتفريق بين العادى والفنى أو العلمى ، والتفريق بين العالى والمنحط .

والطريقة الثانية : التأليف بين الكلمات من جهة معانيها . ومن هذا : ماسماه القدماء : « فقه اللغة » ، والاعتناء الكثير به ، مما نتعجب منهم لأجله ، غير أنهم لم يوفوه كل الاستيفاء ؛ فإنهم وإن كانوا قد جمعوا مثلا كل الكلمات التي ترجع إلى الخيل ، وبينوا معانيها ، وفرقوا بينها ، فقد اعتمدوا في ذلك على الكلمات أولا ، ثم شرحوا معانيها ، وكان ينبغي أن يسلكوا ضد هذه الطريقة في كثير من الحالات ، فيبدعوا بالأشياء ، ثم يتساءلوا^(١) : كيف تسمى ؟ فإذا أردنا مثلا أن نفهم معانى كل الكلمات المتعلقة بالبحر والفروق بينها ، لزمنا أولا أن نتعرف ماهو البحر ؟ وما أنواعه ؟ ومن أى الأشياء يتكون ؟ إلى آخر ذلك ، فإن الشيء أقدم من اسمه في كثير من الحالات .

فإذا عثر الناطقون على شيء جديد ، لم يكونوا يعرفونه قبل ، من الأشياء المادية ، وكذلك من المعانى ، اضطروا إلى تسميته ، فإما أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة قديمة ، معناها قريب من المطلوب ، أو أن يبتدعوا كلمة جديدة ، أو أن يستعيروا كلمة أجنبية ، وأكثر ذلك إذا كان الشيء أجنبيا أيضا ، يأتيهم من خارج بلادهم ، واسمه معه .

(١) في الأصل : « فيبدعون بالأشياء ثم يتساءلون » وهو عطف على منصوب ١